عز الدين بن عبد السلام

دراسة في سيرته الذاتية

الدكتور مرتضى حسن النقيب

كلية الآداب- جامعة بغداد

عز الدين بن عبد السلام، أحدى الشخصيات الشافعية الشهيرة في المجتمع الايوبي- المملوكي خلال الصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وواحد من أعلام المذهب الشافعي الكبار دون أدنى ريب، لما انتهت إليه من رياسة الشافعية، وما اجتمعت في يديه من وظائف وولايات دينية عامة لم تتوفر لغيره من ائمة الشافعيين المعاصرين، كابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م). مفتي الشافعية في الشام، وزكي الدين المنذري (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م). شيخ المحدثين في الديار المصرية، ومحي الدين النووي (ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) وغيرهم لكن أهمية هذا الأمام الشافعي- السلمي الاصل تذهب إلى أكثر من مجرد الاحتفاظ بهذه المنزلة في محال اسهاماته الدينية العامة، وفي واجبات الدفاع عن الدين الحنيف، من خلال فتاويه وخطبه وآرائه الشخصية القوية، وتنديده بالمواقف غير الاخلاقية الخاطئة للايوبيين والمماليك، البحرية والسياسية والادارية، دون احتراز من ردود فعل المسؤولين عنها، والإجراءات التي يتخذونها بحقه وبأفراد بيته، كالتسديد القوي الذي اوقعه بالملك الصالح اسماعيل، سلطان دمشق من جراء تحالفه مع الفرنج ضد سلطان البلاد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وكالموقف المتشدد الذي أتخذه من بيع الآمراء المماليك لأخذ حصة بيت المال في عهد السلطان بيبرس، مما يعلم عليها كونها أحدى الشخصيات النادرة في التاريخ

الأيوبي من حيث نقده لرجالات البلاد السياسية الحاكمة، وفي التشدد وعدم الاكتراث من تبعية نتائج تلك المواقف، كالدعاوي التي تقدم بها شيوخ الحنابلة- الدمشقيين لاباحة دمه وهو في بدايات عمله الديني بالشام. وتمثل هذه الحال من الفقهاء والعلماء في بلاد الشام يمثل موقفا جديدا من المؤسسة الدينية لعلماء الشريعة لم تكن تعرفه البلاد من قبل (وهو شيء تجده فيما بعد عند محي الدين النووي وأن تيلمية ٧٢٨ / ١٣٢٨ مما يجعل من تحليل هذه المواقف وتقويمها أمرا مستوجبا من لدى المهتمين بحقلي الدراسات الايوبي والمملوكية .

لقد كان أبن عبد السلام جزءا من الطبقة الأرستقراطية الحاكمة، أو بالاحرى أحد أكابرها، ولا يجب أن يخرج أحد بانطباع غير ذلك، لكنه كان أيضا لا يتردد في ابداء آرائه بمشاكل الوقت، وفي اتخاذ مواقف متشددة منها، حتى وأن كانت مخالفة لمواقف سيده الأعلى، السلطان، كما أن الحرب والجهاد من الفرنج، أحدى المشاكل الرئيسية الحادة في بلاد الشام، أو كقضية مماثلة، الحرب من المغول في أعقاب اجتياح جيوش هولاكو لبلاد الناصر يوسف الأيوبي في ٦٥٨هـ/١٢٦٠م). ومثل هذا ينطبق على أحواله في كل من فترتي حياته في بلاد الشام ومصر سوية. والحقيقة أن الذي يعطي مسألة التحليل هذه أهمية أكبر هنا هو أن الحالة التي يمثلها أبن عبد السلام هي بحد ذاتها حالة مثيرة للجدل والمسائلة، ليس بسبب ما يعرف عن مواقفه في أنها حالات قائمة على التشدد والصلابة في الدين، وتثير السخط وردود الفعل عند خصومه عموما، وإنما لأنه كان في مثل هذه الاتجاهات يمثل قوة الشافعية-الاشعرية المناوئة لجماعة الحنابلة، الخصم الرئيس للقوة الأولى في دمشق والجزيرة، والتي كانت تجد لها دوما من الايوبيين بين ملوك مؤيدون أو معارضون لتلك المواقف والاتجاهات، مثلا فرض الملك الاشرف، سلطان دمشق في (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) الاقامة الجبرية على أبن عبد السلام، وتنديد السلطان الكامل بالحنابلة وبمرؤسيهم الملك الاشرف تأييدا لابن عبد السلام والاشعرية، فيما لا نجد خلال مدة اقامته في مصر صدى لمثل هذه المواجهات بين الطوائف على مستوى الحكم. على العكس من ذلك، سنجد من كبار مناوئيه شخصيات إدارية ذات أصول

اشعرية، تماما كابن عبد السلام، على نحو اولاد شيخ الشيوخ حموية أحدى العوائل المتنفذه الهامة خلال سلطنة الكامل محمد وابنه السلطان الصالح نجم الدين أيوب.

أن هذا البحث ليس سيرة ذاتية- مثالية لحياة أبن عبد السلام، أو لآرائه الفقهية والقضائية، فهو لا يتناول سوسيولوجية الفكر الديني عنده، ومبادئ فتاويه واصولها، التي تغطيها آثاره ورسائله التي تربو على الخمسة عشر، والتي تحتاج إلى دراسة مستقلة بحد ذاتها، وأنما سنتعرض من هذه المسيرة فقط الجوانب الخاصة بنشأته العائلية وتربيته الدينية، وجهوده في طلب العلم على كبار شخصيات المذهب الشافعي في دمشق وبغداد من وقت ولادته في ٥٧٧هـ-٥٧٨هـ وتاريخ وفاته بالقاهرة في ٦٦٠هـ، حتى نحدد منها ما يكون أسس وعناصر شخصيته الدينية والسياسية ومن ثم لتقرير مآثره ومبادئه والأدبيات التي تدخل في مفاهيمه للنصيحة عند الملوك، وفي هذا المحتوى، نتابع تقلب أحواله العامة في كنف السلطنة الايوبية والمملوكية، وكل ما يساعدنا على تحديد خصائص شخصيته الدينية والسياسية. إلا أنني اعترف أن معظم المعلومات التي تغطي فترة حياته وخلفيته العائلية غير متوفرة ولا يمكن الجزم بكثير من خصوصياتها، (من ذلك، أننا لا نعرف شيئا عن علاقته بعائلته وفترة صباه سوى أنه كان فقيرا معدما يقضي اوقاته في الجلاسة بشمال الجامع الأموي بدمشق) ، مع أننا سوف نستثمر من أجل تطوير هذا الجانب كل صغيرة وكبيرة من تلك المعلومات المتناثرة في حيثيات التراجم والحوادث للوصول إلى أفضل النتائج الممكنة عنها.

أما في القسم الديني- السياسي، فسوف نتابع مواقف أبن عبد السلام من الايوبيين والمماليك من خلال وصف وتحليل نشاطه الديني، والمواقف التي حصلت بينه وبين أي من الملوك والأمراء المعنيين (بتأييد من طائفته الشافعية- الاشعرية)، كل من الملك الاشرف موسى، والصالح اسماعيل، وكل من الملك المعزايبك والسلطان الملك المظفر قطز والظاهر بيبرس من سلاطين البحرية، وذلك من خلال تثمين حالات الخلاف والمواقف التي حصلت بينه وبين هؤلاء السلاطين والملوك بالتتابع ، كالخلاف حول آراء أبن عبد السلام الكلامية مع سلطان دمشق زمن الاشرف موسى، أو مواقفه من وريث هذا الملك في الحكم الصالح اسماعيل

بخصوص تحالفه مع الفرنج، وكذلك من خلال تحليل حادثة الطبلخانة قبل ذي القعدة ٦٤٠هـ مع استادار الملك الصالح أيوب، الامير معين الدين أبن شيخ الشيوخ، فيما نتصدى من سجل المماليك الى تثمين مواقفه من مسألة تمويل الحرب ضد المغول خلال عهد المظفر قطز، وبشكل أهم من كائنة بيع الامراء الاتراك، ومن مسألة الخلافة الجديدة، خلال عهد المملوك بيبرس. ومثل هذا يتطلب ما أن نثبت في البداية خصوصيات القوى الدينية التي كانت تمثل مجتمع الفقهاء والعلماء خلال عصره، ابتداء بمناوئيه من أهل الظاهر،أو الحنابلة، وأيضاً خصوصيات القوى الأخرى التي شاركت في تصاعد الخلاف بينهما من حنفية ومالكية، أو أي من الطوائف الأخرى من أهل الفرق المحلية لكل من الشام ومصر. ويعيننا في متابعة هذه الجوانب آرائه وفتاويه الشخصية، والمعلومات التاريخية التي تدخل في اطارها، على نحو ما ترد في آثاره الفقهية-الكلامية وكتب التراجم الايوبية-المملوكية والطبقات والتواريخ العامة.

أن التصدي للكتابة عن أبن عبد السلام في مشروع أكاديمي بحت يثير مشكلة متداخلة للمؤرخ، فهو مهما حاول أن يكون موضوعياً في دراسته، لا بد له من أن يخرج بصورة مثالية عنه، هي في تقييم المؤرخ أبعد ما يمثل الواقع التاريخي لشخصيته. وبدون أخذ أي احتراز وتدقيق من لدى المؤرخين وذهنيته، فسيكون عمله حالة لا يحسد عليها من حيث السمات والنتائج. فأنظر مثلاً، رضوان علي الندوي، مندوب ندوة العلماء من لكتو في الهند نشر كتاباً بعنوان ((العزيز عبد السلام))[١] أحد أئمة الفكر الاسلامي، يمثل الاساس من اطروحته التي قدمها إلى جامعة دمشق في بداية الستينات بنفس العنوان، وجعل من جهده، حسبما يقر هو شخصيا، تقديم دراسة عن الرجل تليف بمكانته العظيمة، من خلال النظر إليه كصورة مصغرة لشخصية الخليفة عمر[٢] (رض الله عنه). ومع أن هذا السيد الجليل بذل جهوداً لا بأس بها بالنسبة لمتطلبات درجته العلمية ولدراسة حياة وأثار العز بن عبد السلام، إلا أنه لم ينجح، حسب تقديرنا، في إظهار الجانب التاريخي من شخصية العز بن عبد السلام، وفي تقييم ومعارضة وجهات نظر الأليمة المناوئين والمخالفين له. ولذلك، لا اشك قيد شعرة أنه لا يمكن دراسة أبي عبد

السلام على أساسي السيرة الذاتية منه، لأنه لا يمكن تجنب تلك الصورة المثالية للشيخ ولشخصيته، ناهيك عن التعمد المقصود في وضع أهداف على مستوى الكتابة تعزز من هذه الصورة وتبرزها.

أما الوجه الاخر لهذه المشكلة فهي هستريوغرافية المحتوى. فلا بد من أن نتقبل شيئا وحقيقة واضحة، شئنا أم أبينا عن موضعنا، وهي أن غالبية المعلومات التي تدخل في عمل دراسة عن العز بن عبد السلام هي شافعية-اشعرية الاصول، تتحاز في فحواها لشخصيات المترجم له، وفي حالة العز كتب في ضوء مآثر ومناقب أبن عبد السلام، وتسعى إلى تمجيده وإظهار عظمته، باستثناء معلومات ضئيلة وصلتنا من مناوئيه، أهل الظاهر، تسمح لمجال محدود من النقد والمقارنة فالصورة الشافعية- الاشعرية عنه لن تبتعد عن حدود مناقبة، والسبكي، أكثر الاشاعرة وضحا لمثل هذه الحالة يصفه في مقتتح بسملته بأنه: شيخ الاسلام والمسلمين، وسلطان العلماء، وأمام عصره بلا مدافعة، لم ير مثل نفسه، ولا أرى من رآه مثله علما وورعا وقياما في الحق وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان وغيرها من الاوصاف المثالية الجريئة[٣]. ومثل هذه الافتتاحية ، بدون شك ، اصبحت مصدر ألهام لتعميمات التي صدرت من يوسف السباعي، الفقيه الجامعي، عنه بوصفه شخصية اتاه الله من العظمة ما لم يؤت عالما غيره في عصره)[٤]. ومرد الخطورة في السبكي، وفي من يتبع أقواله من الاكاديميين أنه ليس فقط يضمن ترجمته معلومات خصصت لتمجيده، شخصيا على أساس صفة الانتساب لشافعية- الاشعرية، وإنما يوفر للقارئ صورة أعمق لذلك مر خلال الاقتباس لما صنف خصيصا لمسيرة ابن عبد السلام وظاهرته. ومن هذه المصنفات ينتمي واحد لابرز أولاد أبن عبد السلام، هو الشيخ عبد اللطيف شرف الدين، الذي يستخدمه السبكي عند عرض محنته مع الحنابلة في الشام، والذي كتب بناء على طلب شخصي من والده[٥] ، وآخر شافعي- اشعري- أيضا عائد لخطيب الاشمونيين، القاضي عز الدين الهكاري[٦]، مكونة ترجمته من جزء نحو كراسين (وأيضا من أبو عبد الله بن عساكر العز) (ت ٦٤٣هـ) الذي لم يصل إلينا[٧]. وكما سيتضح لنا، أن أبن عبد السلام كانت له مواصفات لا تتوفر في رجل الدين العادي، لكن

مصنفو الشافعية – الاشعرية ساهموا في نشر الدعاية له، وفي رسم مكانته المميزة، مما يثير بعض التحفظات من جانب استخدام تلك المعلومات وتوظيفها لكتابة سيرته الشخصية، وفي تقييم خصومه و منتقدية. أما الآراء المحايدة، حتى وأن كانت شافعية ممثلة للمحدثين، فلم تصل إلينا الا نادرا، وبصورة غير مباشرة، مثل آراء واقوال أحد تلاميذه الحافظ الاندلسي أبن مزدى (مسرى) الشيقة (ت ٦٦٣هـ)، والتي لم يثبت ميها إلا نتفا من معلومات ما قاله عنه في معجمه (ربما من قبل تلميذ ترجم له هو أبو محمد الدمياطي، صاحب معجم ذكره فيه أيضا[٨]، او رأى الحافظ تقي الدين القشيري ، الذي وضعه في بعض تصانيفه لاحد سلاطين العلماء، دون الملازمة البالغة التي يروج لها السبكي، وأيضا الشريف عز الدين بن الحسيني في الوفيات ، فيما تأتي معلومات تراجم الحنابلة عنه من قبل اليونيني والذهبي، ممثل الظاهرية سليمة باستثناء ما يشك عن ممارسته اعمال صوفية غير لائقة من رجل الدين كالرقص والتواجد في حلقات السماع[٩].

أن الدراسات عن أبن عبد السلام، على الرغم من شهرته ليست كثيرة، خاصة ما يتعلق بتحليل لمواقفه السياسية مع السلاطين والملوك الايوبيين والمماليك من وجهة نظر تاريخية محضه، وهو ما سنقوم بعمله في مقالة قادمة والاستثناء دراسات المستشرق الفرنسي هنري لاووست عن حالة الدين (أي الحنايلة) تحت حكم المماليك البحري، التي لم تتوفر لي حاليا لظروف الحصار التي تعيشها البلاد[١٠].

لكن الدخول في دراسة عن أبن عبد السلام من الوجهة التاريخية المحضة تقوم على التحليل والنقد ومعارضة الروايات والاقوال لما يتوفر عنه من المصادر امر لا يتقرر بسهولة ، ويبقى واجب المؤرخ المحترف مواجهة المشاكل التي تواجهه من جراء ذلك، بالاقرار بمهايتها وطبيعتها دون تردد. فطالما كان عمر أبن عبد السلام هو عمر الدولة الايوبية أو ما يزيد، وطالما كانت مناصبه موثقة بالكتب والمنشورات الرسمية للديوان، فمن الصعب أن نقيم أولا جدولا كرونولوجيا يفضي إلى مراحل تقدم حياة أبن عبد السلام، والوظائف والمناسبات التي ارتبطت بها، ثم أن من الصعب، في كثير من الحالات، أن نعالج تحديد مسألة هويات الاشخاص

التي تتحدث مفردات النصوص عن علاقتها بالاحداث، وبما جرى في تلك الكائنة، أو هذا الاستفتاء والحادثة وغيرها، خاصة نصوص من لون الطبقات كالسبكي، بحيث يصعب تقرير شخصياتها على مستوى المسؤولين من الامراء ورجال الادارة للايوبيين والمماليك في السلطنة، وهكذا ، إلا أن الجهود للتغلب عليها تبقى من أصول مهنة المؤرخ ومن منهجيته، الذي هو بحد ذاته مساهمة جادة منه.

في سيرته الذاتية

أن الذي ينظر إلى حياة شيخ الاسلام أبن عبد السلام عن كثب، سواء تلك التي تمثل حياته في الشام أو مصر، يرى أن عمره الزمني الذي كان قد دخل الثالثة والثمانين عند وفاته في ٩ جمادي الأول ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م هو في حقيقة الأمر الواقع عمر الدولة الايوبية نفسها، التي كانت قد بدأت قبل وقت من ولادته بتسع سنوات على عهد السلطان صلاح الدين الكبير، وما استمر وكمل خلال الاثنى عشر سنة الاولى من حكم المماليك البحرية، فهو يجمع بين عمر السلطنة الايوبية وبدايات الفترة البحرية لدولة المماليك، بحيث شهد خلالها عهود كثيرة من السلاطين الايوبيين والمماليك سوية. أما عمره السياسي فهو ينحصر بسلطنة العادل الكبير، شقيق صلاح الدين، والسلاطين كل من الكامل محمد، وولديه العادل الصغير والصالح نجم الدين أيوب، وكذلك فترة عهد أبن الصالح القصيرة السلطان الملك المعظم توران شاه، ثم خلفاؤهم من المماليك، الملك المعزايبك، والمظفر قطز، وختامها في عهد الظاهر بيبرس. ومن هؤلاء، تميز أبن عبد السلام بعلاقة قوية مع السلطان الملك الثامن محمد وابيه السلطان الصالح نجم الدين أيوب، بينما نال في المقابل عداوة حكام السلطنة بدمشق، كل من الملك الاشرف موسى، ومرشحه الملك الصالح اسماعيل.

حياته في الشام:-

أن معظم سنوات حياته التي عاشها أبن عبد السلام قضاها في بلاد الشام، وهي ما يقرب من أحدى وستين سنة تنحصر بين تاريخ ولادته ورحيله إلى مصر، وما تبقى من عمره، والتي تزيد عن عقدين ونيف، قضاها في الديار المصرية

حيث اختتمت حياته هناك في ٦٦٠هـ/١٢٦١م. وبموجب ذلك التحقيب، مرت حياته بمرحلتين كبيرتين: الأولى مرحلة تكوين الشخصية وتكاملها، وهي مرحلة حياته في بلاد الشام، والاخرى مرحلة بلوغ الاجتهاد والغوص في شؤون الشريعة تحت ظل المماليك البحرية. وللتعرف على خصوصيات وسمات هاتين المرحليتن سندرس في الأولى الأمور الخاصة بنسبه ونشأته في الكلاسة، وتلقيه علوم الشريعة، ورحلته في طلب العلم وارتباطه بالمذهب الشافعي وولائه للاشعرية، وفي الثانية، نتابع حياته في مصر وصلاته الشخصية بالأمراء والسلاطين المماليك ضمن مداخلات المجتمع المملوكي.

نسبه:-

لا يوجد اختلاف بين المصادر في نسبه، فهو يرد باسم عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي[١١]، من أهل دمشق، لأنه يعرف أيضا بالدمشقي، وبالشافعي كونه من اتباع المذهب الشافعي، وسلمي من جهة الاب، ويشار إليه اختصار بابن عبد السلام[١٢]، وبعز الدين، والعز بن عبد السلام[١٣]، ويكنى أبا محمد. وفيما عدا هذا النسب، وكونه سلمي من مضر المنتشرة في الشام، لا نعرف شيئا عن أبويه، أو عن توفر ووجود أشقاء له من والده عبد السلام. باستثناء (أو ماعدا) مصدر متأخر هو شمس الدين الذهبي يتفرد في رواية عن جده شخصيا بالقول أن أباه كان نجارا، وأنه كان يؤم بمسجد الرحبة ويؤدب الصبيان[١٤].

أوصافه:-

يستشف من المعلومات القليلة المخصصة لترجمة حياته في السبكي أن ابن عبد السلام كان (رجلا مهيبا)، (مقبول الصورة)، غير (غير قصير) في قامته، (مع الذكاء المفرط) وذو قدرات كبيرة على الحفظ، وأماما ورعا قائما في الحق على شجاعة وقوة جنان مع سلاطة في اللسان[١٥] ويلبس في رأسه العمامة، مع أنه لا يمانع في لبس (قبع لباد) أثناء حضوره للمساهمة بالمواكب السلطانية[١٦]، ويتميز

بكثرة تصدقه، مع فقرة، التدبير على تواضعه، وعلى اعترافه الانتساب لعالم الفقراء، حتى أنه لم يتردد في مناسبة من التصدق بثمن مصوغات باعها كانت زوجته قد لمتها لشراء بستان في زمن قحط. ويفهم أنه كان مسؤولا عن عائلة كبيرة[١٧].

نشأتـــه:-

تقع أيام الصبا التي قضاها أبن عبد السلام في دمشق خلال عهد السلطان الكبير صلاح الدين، فكتاب سيرته يحصرون ولادته بين سنتي ٥٧٧-٥٧٨ من عهد دون ترجيح إلى سنة واحدة منها[١٨]. ولكن من المؤكد أن الصبي لم يعرف عن صلاح الدين شيئا خلال هذا العهد المبكر من عمره، إلا أن مناسبة رحيل السلطان في (٥٨٩هـ/ ١١٩٣) بدمشق كانت بدون شك، حدثا مهما خلال سنوات عهد صباه، الذي كان حينها قد كبر وتجاوز سن الحكم والحداثة. ونحن نعرف أبن عبد السلام قضى هذه الفترة من حياته بين بيت البيت والكلاسة بالجامع بدمشق، لفقدان من يعيله من أسرته، التي كانت فقيرة الحال جدا، فنشأ فقيرا معدما تماما من كل شيء، معولا على نفسه منذ نعومة اظفاره، بحيث لم ينس أيامها القاسية على كبر، أو خلال أيام غناه، لما كانت تمثل بالنسبة له كل مسميات الجوع والبرد والمرض، وما حصل له من تغيير في حياته جاء بعد أن دق الفتى باب العلم، وتعلم علوم الشرع والدين الحنيف، حتى قيل عنه أنه لم يعرف عمل أهل الحرف أبدا، ولم يشتغل إلا على كبر[١٩]، والذي يتزامن مع حكم سلطان دمشق حينئذ، الملك الافضل، ولد صلاح الدين، والمتحدد الرئيس لسلطان الوقت العزيز عثمان، بدعم من عميهما الملك العادل سيف الدين الذي استقل بالسلطة شخصيا (٥٩٥-٦١٥هـ/ ١١٩٨-١٢١٨م).

واسوة بسير العلماء في متابعة رحلة طلب العلم، خرج أبن عبد السلام وقبل نهاية القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي، وبالتحديد سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)[٢٠] بأتجاه بغداد في أول واخر رحلة له في العالم الاسلامي لمتابعة تحصيله على يد أفضل علماء العصر عند العباسيين، حيث أقام بها شهرا أو اشهرا لأخذ التعليقة على مذهب الشافعي في مسائل النظر والخلاف من مدرسي

النظامية هناك[٢١]. ولكننا لا نعلم فيما إذا قد توجه من هناك إلى بلاد العجم لتكملة رحلته التعليمية، أم أنه قفل راجعا إلى دمشق، مع أن الدلائل لا تبين أنه عمل ذلك، لان اهتماماته بمجالس الحديث، وعقد مجالس الاملاء، كان عاما لا خاصـــا، ولـــم يكثر من سماعه، ولا يبرر الرحلة في إكمال معجم شيوخه لهذا التخصص.

وفي بدايات العقد الثالث من عمره تأهل أبن عبد السلام على ما يبدو للزواج مـــن امرأة لم تثبت لنا المصادر اسمها. إلا أن أبن تغري- بردى يشير إلى أنه في ســنة ٦١١هـــ ولد له ابنه إبراهيم (أبو اسحق)[٢٢]، الذي هو ليس بالولد الذي يحمل كنيته الاب أبو محمد، على ما يرد في مفردات نسبه، والذي لا بد أن يمثل بالنسبة للشيخ الابن البكر من أولاده. أما أبنه الآخر عبد اللطيف، كاتب سيرة حياتـــه، فيذكـــره السبكي ضمن رجال الشافعية، ويؤرخ ولادته في شهور ســـنة ٦٢٨هـــ [٢٣]ولا نعرف أن كان له أولاد آخرون، مع أننا نعرف أن أبن عبد السلام في آواخر حياته كان يتحمل مسؤولية عائلة كبيرة ، وواضح ايضا ان اولاده ، على الرغم من قلـــة ما يتوفر عنهم ، لم يرتقوا الى مستوى والدهم في العلم والرياسة الدينية ، والمنزلة الوظيفية بين الحكام الايوبيين والمماليك . ويقال انه شخصيا اعتذر التوصية فيـــهم عوضا عنه للمراتب الدينية التي كان يشغلها ، حتى يشير كتاب سيرته الـــى حـــد رفضه ترشيح وتوصيات بيبرس لابنه عبد اللطيف في الحلول مكانه [٢٤].

ومهما يكن ، فان السنوات المتبقية من سلطنة الملك العادل لم تشهد تغيـــير كبيرا يذكر في منزلة ابن عبد السلام وفي علاقته بتلك الادارة ، اذ لايبدو انه حقق مكانة وظيفية مهمة قبل ٦٢٠ هـــ سنة وفاة فخر الدين عساكر [٢٥] ،شيخ الشافعية في الشام، وشيخ أبن عبد السلام في علوم الفقه، إلا أنه حقق خطوات مهمـــة فـــي الشهرة من خلال حلقات التدريس التي مارسها أو تلك التي يحضرها بين أقرانـــه فقهاء الشام الشافعيين، وفي استيعابه لاصول الفقه الشافعي وقواعده، أما التحـــول الحقيقي في منزلته جاء خلال سلطنة وريثه الملك الكامل محمد (٦١٥- ٦٣٥هـــ) عندما أيد على مدى عقدين من الحكم للبيت الايوبي، مواقف السلطان ضد متحديـــه من الملوك الشاميين، المؤيدين لزعامة شقيقه الملك الاشرف موسى، سلطان دمشق، وممثله في بعلبك أولا، ودمشق فيما بعد الملك الصالح إسماعيل، شغل فيها أبن عبد

السلام جملة من المناصب التعليمية والوظيفية كان يستخدمها لخدمة المدرسة الشافعية ومؤيدوها من اتباع المذهب الشافعي، والذي كان قد تولى رياستهم خلفا لابن عساكر المتوفي. ومن هذه الوظائف، يقول السبكي، أنه تولى التدريس بالزاوية الغزالية وغيرها، وتولى الخطابة والامامة بالجامع الأموي[٢٦]. ومن جراء عمله، أصبح أبن عبد السلام مشغولا بجملة مواقف مذهبية عدائية مع قوى الحنابلة الدمشقيين، الذين دعوا إلى هدر دمه، دون نجاح، مستغلين التأييد الذي كانوا يحصلون عليه من الملك الاشرف موسى ومن مركز قوتهم في المدينة بين العامة. وخلال ذلك كان ينشط في القيام برحلات للزيارة داخل المدن الشامية، كالرحلة التي قام بها في نهاية شعبان ٦٢٤هـ صحبة تلميذه، مؤرخ الشام أبو شامة المقدسي وغيره إلى بيت المقدس والخليل لاداء الزيارة[٢٧].

لكن عهد حكومة الملك الصالح اسماعيل (ت ٦٤٨هـ/ ١٢٠٠م) شهدت سجن أبن عبد السلام مدة، ثم اطلاق سراحه، بعد ما نال من الصالح على المنبر علنا ولم يدعو له، على عادة الخطباء في رفع الدعاء للسلطان، لما قيل أن الصالح اسماعيل الفرنج في نزاعه مع السلطان الجديد الملك الصالح نجم الدين أيوب، وقبل ذلك في اصداره فتوى يحرم فيها بيع السلاح للفرنج بعد أن فتحت اسواق دمشق لهم من قبله أيضا، مما سبب في غضب (الملك) غضبا شديدا، وفي حبس أبن عبد السلام بالقلعة وتجريده من مناصبه[٢٨]. فترك دمشق متوجها صوب (القدس)، إلا أنه أخذ على غير رضى منه بأمر حاكمها، صاحب الكرك حينها، الملك الناصر داود، اليوضع تحت حدود سلطانه مدة أيضا، بعد رفض التعاون معه، كذلك في رفض دعوة من نفس غريمه الملك الصالح اسماعيل، يقترح عليه، بالاعتذار من الملك، وتقبيل يده، مقابل ارجاعه إلى وظائفه التدريسية والدينية، وإلى زيادة مركزه وحشمته، فتجدد حبسه واعتقاله مدة أخرى حتى قضت هزيمة القوى المتحالفة على يد السلطان الصالح نجم الدين أيوب في ٦، حيث انتقل يطلب منه الى القاهرة، مركز السلطنة الأيوبية. فكانت هذه الحادثة، أو حادثة الخيمة فيما تسمى، نهاية عهد حياة أبن عبد السلام في الشام، وبداية لحياته الجديدة في مصر، حيث تسلم فيها مراكز تعليمية ودينية مماثلة، فضلا عن إضافة وظيفة القضاء والحكم إليها، التي

جاءت جميعها كمكافأة له على تشنيعه على عم (السلطان) الملك الصالح اسماعيل خلال النزاع[٢٩].

حياة أبن عبد السلام في الديار المصرية

لم يجد أبن عبد السلام ، خلال الفترة التي تكون حياته في مصر بين السنوات ٦٣٨-٦٦٠هـ (وهي السنوات المتبقية من حكم السلطنة الايوبية وورثيتها المماليك البحرية) صعوبة في أن يصبح جزءا هاما من الطبقة الارستقراطية الحاكمة في البلاد، وفي أن ينال مكانا متميزا بين شخصيات المجتمع الديني- المصري وائمته، وفي لهج العامة باسمه وزيادة، شعبيته، لضعف العنصر الحنبلي هنا، وعدم انتشاره بين ظهرانيهم كعامة الشام، وفي استقرار مبادئه التي سار عليها في التصلب من أجل العقيدة والدين وعدم المساومة مع ممثلي النظام القائم، التي زادت في أعقاب انتقال الحكم من الايوبيين إلى المماليك في ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، فيما كانت سمعته بين الامراء المماليك يشوبها التحفظ والتوتر بين وقت وآخر لما كانت تسببه لهم مواقفه الشرعية من تهديد لمصالحهم العامة والحياتية، رغم التقدير والاحترام الذي كان يحظى به من مراتبهم، بما فيهم السلطان المملوكي. وقد تجلى ذلك من خلال الظهور والمشاركة في الاحتفالات الحكومية العامة والمناسبات الدينية، وبتسلم الوظائف الدينية التي عرف بها سابقا، من أمامة الصلاة والخطابة بجامع مصر، والتدريس بمدرسة السلطان (الصالحية)، إضافة إلى عمل القضاء والحكم لمصر والوجه القبلي إلى أقصى الصعيد، والتفويض بعمارة المساجد المهجورة بمصر والقاهرة[٣٠]، أو بتلخيص تلميذه، أبن مسرى: ((فطار ذكره كل مطار، وقضى من الجاه والرياسة ما شاء من لبانات واوطار))[٣١]. ومن هذه المسؤوليات والمهام في الولايات الدينية، ساهم أبن عبد السلام في شد أواصر الحكم والدفاع عن السلطنة عند الايوبيين والمماليك سوية، بالحث على الجهاد في معارك المنصورة أواخر أيام السلطان القوى الشان الصالح نجم الدين أيوب وأبنه المعظم توران- شاه، بعد تعرض البلاد لغزوة جديدة من الصليبيين- الفرنج استهدفت دمياط سنة ٦٤٧هـ، وفي حث المماليك البحرية على التصدي للمغول

ومحاربتهم بعد سقوط بلاد الشام بيد المغول، من خلال المشاورات والاجتماعات المفتوحة لرجال السلطنة المملوكية، المظفر قطز وامرائه قبل خروجهم إلى شمال فلسطين في نهاية ٦٥٧هـ لملاقاة عدو الاسلام الجديد المغول في عين جالوت، أو في المشاركة باحياء الخلافة العباسية من القاهرة بشخص الخليفة العباسي الجديد المستنصر بالله سنة ٦٥٩هـ، وفي وقائع أخرى من جولات المجتمع المملوكي .

وبسبب هذه المبادئ، لم تخل حياة أبن عبد السلام طيلة نشاطه من أزمات مع سادة الايوبيين والمماليك أوجبت عليه في فترات غير قصيرة أحيانا من عهودهم الاعتزال والتقاعد، لصالح التفرغ لشؤون التدريس والتصنيف في مسائل الفقه واصوله واحكامه لطلبة المذهب الشافعي (والذي كان يلقي تهافتا وتعظيما كبيرا بسبب دروسه العالية)، ومن ذلك، الحفاوة البالغة التي كانت قد قامت بينه وبين السلطان نجم الدين أيوب لم تستمر طويلا بعدما اندلعت في وقت مبكر من سلطنته مشكلة دينية-ادارية بين ابن عبد السلام وبين أحد اولاد ابن شيخ الشيوخ، الامير معين الدين، وزير السلطان، حول موقع للطبلخانة يعود لقوة من امرائه تقع بمحاذاة أحدى الجوامع (جامع عمرو بن العاص) تسببت في تقديم استقالته من القضاء، من جانب واحد، حتى دون انتظار لطلب من السلطان بأمر أقالته من منصبه، ومع أن السلطان حاول استمالته مجددا، إلا أن أبن عبد السلام لم يتراجع عن مواقفه المتصلبة، ولم يلن بخصوص العودة إلى وظائفه، فيما كانت ادارة السلطان ترغب في التخلص منه، وفي تجنب خطره عليهم، مع أن أبن عبد السلام قبل في النهاية، تولي التدريس في المدرسة الصالحية المستحدثة توا، وفي مثل آخر، تهديده بترك مصر والخروج ثانية إلى الشام على أثر ما تعرض له في نهاية أيام حياته خلال حكم الظاهر بيبرس لمسألة تخص قرارا أتخذه بشأن استمرار حكم الرق على المماليك الاجلاب إلى مصر، مالم يتم للمملوك- الأمير تادية حق بيت مال المسلمين بالمناداة عليه علنا في سوق البيع (بما يشمل المملوك بيبرس نفسه)، بحيث دعا بالسلطان إلى الانكار على الشيخ أبن عبد السلام تدخله في هذا الأمر، لانه لا يتعلق به، ويشير السبكي إلى أن ابن عبد السلام، زاد في ملابسات هذه الحادثة، فترك البلاد بهجره مصر والتوجه إلى الشام ثانية، إلا أنه تراجع بعد

استرضاء السلطان له بما طيب قلبه[٣٢]. ويبدو أن بيبرس اراد كسب ود أبن عبد السلام وترضيته، في وقت ما بعد هذه الحادثة لبلوغ الشيخوخة والشعور بدنوا الاجل وذلك بتعيين أبنه شرف الدين عبد اللطيف مكانه، أي كانت تلك أوصافه، حتى يضمن موردا ماليا دائما له، إلا أن أبن عبد السلام أعتذر عن تعزيز هذا الترشيح بقوله (أن ولدي عبد اللطيف) لا يصلح لذلك، وفضل ترشيح القاضي أبن بنت الاعز مكانه[٣٣]. ومثل هذا في مجريات عمله، يدلل على أن حياه أبن عبد السلام الدينية والسياسية ونشاطه التعليمي كانت قد وصلت إلى نهايتها داخل المجتمع المملوكي ومؤسساته، بحيث يبدو في منزلته الرسمية أقرب إلى التقاعد والعزلة من أي شيء آخر، فيما أخذت شخصيات صاعدة من الفقهاء كتلميذه أبن بنت الاعز وغيره تحظى بالمنزلة والقرابة من لدن السلطان المملوكي ونوابه من الامراء ، وهو ما كان يمثله يوما أبن عبد السلام نفسه في التاريخ الايوبي والمملوكي على مر السنين.

أما آخر الاعمال االتي ساهم بها أبن عبد السلام قبل وفاته، وأن كانت شكلية، فهي المشاركة في تثبيت نسب الخليفة العباسي الجديد المستنصر بالله بعدما قرر السلطان بيبرس احياء الخلافة العباسية من القاهرة، على أثر زوال حكم البيت العباسي في بغداد على يد المغول، وبعد ما يقرب سنة من هذا حصلت وفاة أبن عبد السلام بالقاهرة، في ٩ جمادي الأولى سنة ٦٦٠هـ[٣٤]، على أثر اصابته لمدة غير محددة في مرض لا تشير إليه ادبيات سيرته الذاتية، ربما بمرض الشيخوخة لما يعرف عنه أنه في سنة وفاته كان قد قارب الثالثة والثمانين، ودفن بالقرافة الكبرى عند سفح المقطم، مما يلي البركة[٣٥]، ويقال أن جنازته كانت حدثا كبيرا في القاهرة حضرها الخاص والعام سوية، بما فيهم السلطان بيرس نفسه، الذي شق طريقه إلى تربته راكبا بمساعدة مماليكه الخواص من كثيرة الزحام[٣٦]. وهذه هي المناسبة التي علق فيها السلطان مقولته الشهيرة على ما يذكر الذهبي عن سماعه خبر وفاة أبن عبد السلام ((أنه فقط الساعة استقر ملكي)) لما لسلطان العلماء المتوفي من أثير كبير على الناس بحيث لو أمرهم في التعرض للسلطان بما ارادوا

لبادروا إلى امتثال امره. ولما ينسب إليه في الغلط على الملوك فمن دونهم[٣٧] دون وقوع الخوف عليه.

مناصبه وواجباته الدينية:-

بنيت شهرة أبن عبد السلام في العالم الاسلامي عامة وفي الشام ومصر خاصة من خلال الوظائف التي مارسها أثناء عمله في دمشق والقاهرة، ومن خلال العلم والتدريس الذي اقترن باسمه في الغزالية والصالحية والمعزية طيلة حياته، فأن مصدر قوة أبن عبد السلام، ومصدر تعاليه على الملوك الايوبيين والسلاطين المماليك يعود إلى أمرين اساسيين: الاول حق الافتاء، الذي هو مصدر اجتهاده في مسائل الدنيا والشرع المختلفة، والذي غلبا ما وظفه في المواجهة مع خصومه من الأمراء وانصارهم من عناصر الادارة الحاكمة، والثاني ، هو مجموع المناصب والواجبات الدينية التي كان يقوم بها بصفته الرسمية، والتي تشمل كل من الخطابة وامامة الصلاة في الشام ومصر لفترات مختلفة من عمله الديني، والقضاء والافتاء في حالات مماثلة، فضلا عن تمكنه من أمور الشرع الحنيف وغوصه في اسرارها، وممارسته للتدريس باسم الشافعية.

يرجع توليد لامامة الصلاة والخطابة بالجامع الاموي بدمشق إلى أيام حكومة الملك الصالح اسماعيل الثانية لدمشق سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م والتي كانت من امتيازات الشافعية وحقوقهم، وامتد عهده فيها ما يقرب من ستة شهور كان بشهادة ابو شامة مؤهلا لذلك، واحق الناس بهما عندما خلف سلفه الدولعي[٣٨]. لكنه أقيل منها لموقفه من سياسة الصالح في السماح للفرنج بدخول دمشق وشراء السلاح من اسواقها، ولتشهيره بتعاون الملك مع فرنج الساحل في حربهم ضد أبن عمه الملك الصالح نجم الدين ايوب، أقوى المرشحين الايوبيين للسلطنة حينئذ، الذي نجم في استدعائه إلى مصر، وفي أناطة مجموعة من الوظائف والولايات الدينية عند وصوله في السنة التالية، والتي تشمل الخطابة والامامة في جامع عمرو بن العاص (جامع مصر) والقضاء فيها والوجه القبلي، ورياستي المذهب والفتيا والتدريس[٣٩] مع أنه يقال، حسب ما ينقل أبو الفدا أنه قبل الاشتغال في القضاء كرها[٤٠]. لكن

خلافه مع ادارة السلطان ((الاستادار معين الدين أبن شيخ الشيوخ))، في أعقاب حادثة الطبلخانة قبل ذي القعدة ٦٤٠ تسبب في خروج أبن عبد السلام، من جهته، عن القضاء طوعا، فيما تبعه قرار الادارة باقالته من الخطابة والامامة رسميا، عقابا له على تصرفه في الانسحاب من القضاء من جانب واحد[٤١].

ولعلو منزلته الدينية كشيخ الاسلام، فأن أبن عبد السلام لا بد من أنه كان قد مارس هذه الوظائف، أو بعضا أساسيا منها أثناء انتقال الحكم من الايوبيين للمماليك بعد سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، واستمر في اداء عمله بين التدريس وهذه المهمات حتى وقت قبل وفاته خلال السنة الثالثة من سلطنة الملك الظاهر بيبرس.

أن أهم ما يميز أبن عبد السلام في هذه الوظائف أداءه الناجح في ممارسة دوره كأمام وخطيب للجامع الأموي بدمشق أولا والجامع العتيق بمصر فيما بعد، فالى هذه الوظيفة المزدوجة طارت شهرته الافاق ، واقترن اسمه بالمبادئ والتجديد و (الاصلاح)، وخدمة الاسلام والشرع الحنيف. ومن أجل هذا يقول عنه أبو شامةعلى أنه هو أول خطيب للجامع الاموي أزال البدع عن مراسيم اداء الخطبة وتنفيذها[٤٢]. ولما كانت خطبة الصلاة التي هي من نوع الوعظ والنصيحة للملوك الايوبيين، وتتعلق بسيرة سلطان دمشق والدعاء له، فأنها تمثل، طبقا لمفهوم وتصور أبن عبد السلام للسياسة الشرعية، النظرة المثالية لما يكون عليه سير وتعامل الملك الايوبي مع قوى الاعداء لدار الاسلام إلا أننا لا نملك تحت تصرفنا باستثناء اشارت للبسملة ودعوات الختام[٤٣]، أية نصوص كاملة للخطب التي اقترنت شهرته بها. كما يدين بشهرته لحد أقل إلى رياسة الشافعية التي انتهت إليه منذ وقت مبكر في ٦٢٠هـ/١٢٢٣م على أثر وفاة شيخ الشافعية بدمشق فخر الدين بن عساكر. أما الافتاء ، فبالرغم مما أشتهر به اسمه من اسهامات، وبالمواضيع الحساسة التي اقترنت به، فلم تكن له يوما ما رياسة الافتاء في الشام لأنها كانت من نصيب أبن الصلاح[٤٤].

وما أقترن باسمه من رياسة جاء في أعقاب انتقاله إلى مصر، وما من شك أن القابه المختلفة التي عرف بها من شيخ الاسلام، وشيخ الدنيا، وسلطان العلماء تدلل على جمعه لرياسة المذهب ورياسة العلم مجتمعا.

القابـــــــه:-

يشتهر أبن عبد السلام بين كتاب ترجمته في السبكي بجملة القاب اجتمعت لديه خلال فترة عمله بالولايات والوظائف الدينية بدمشق والقاهرة هي كل من : سلطان العلماء وشيخ الاسلام، وتعابير الشيخ والامام الخطيب ومفتي الاسلام[٤٥]. وفيما عدا ذلك لم يضف أحد من واضعي تراجمه إلى قائمة السبكي من القاب سوى تسمية عز الدين في أبن نافع السلامي[٤٦]. ولم يعرف أنه كان قد عرف بشيخ الشيوخ، أو حصل على القاب من مراتب المحدثين. ومن هذه الالقاب فأن لاكثرها شهرة وأكثرها أهمية هي التسميات التي عرف بها بعز الدين وسلطان العلماء وشيخ الاسلام.

فعز الدين هو اللقب الذي يشتهر به في المصادر ويسبق أسمه عادة ، فيقال الشيخ عز الدين، والعز أكثر شيوعا منه ومبني على الاختصار. أما سلطان العلماء فهو أكثر القاب أبن عبد السلام شهرة وشيوعا، وينتسب إلى وقت اقامته في مصر وليس الشام، اسماه به تلميذه المنفلوطي المصري ابن دقيق العيد[٤٧] بمناسبة غير معروفة[٤٨]. لكن أبن عبد السلام لا ينفرد به كما يوحي السبكي في مدخل ترجمته وانما ينظر باعتباره واحدا منهم ليس إلا، وهذا ما يرد في قول أبن دقيق العيد نفسه[٤٩]. وفي الترجمة التي خصصها له الحافظ المصري الاصل أيضا تقي الدين القشيري في أحد تصانيفه[٥٠]، وبالنسبة لشيخ الاسلام،فهو لقب ائمة المذاهب عن يلغوا مرتبة الاجتهاد واستحقه أبن عبد السلام للمراتب والواجبات التي كانت برسمه من الخطابه وامامة الصلاة، فضلا عن القضاء والفتيا والتدريس مجتمعه، بما فيها رئاسة الشافعية والعلم. ولاغرابة أن يمسيه قطب الدين اليونيني، آنئذ ((بشيخ الدنيا))[٥١].

وكلمة أخيرة عن تصوف أبن عبد السلام وعلاقته بشيوخ أهل المعرفة قبل أن نختتم ملاحظاتنا عن سيرته الذاتية والعلوم التي تخصص فيها، فلا يوجد ما يدلل على أن أبن عبد السلام كان صوفيا محترفا، شأنه شأن المريدين الذين يسلكون، من خلال الاحوال والمقامات، طريق التصوف في الزاوية أو الخانقاه من اجل بلوغ مرتبة الشيخ في مجتمع أهل الصفة، مع أننا نعرف أن ابن عبد السلام،

في بداية صباه، اراد سلوك الطريق والتخصص فيه، إلا أنه استثنى لصالح تعلم الفقه بعد سماعه لنداء طرق اذنيه في اعقاب اغتساله ببركة الكلاسة لمرتين خلال يوم شديد البرودة، يدعوه بأخذ طريق العلم (إلى الفقه) لأنه يهدي إلى العمل[٥٢] (التصوف)، كما تعرف أن أحد مصادر ترجمته في السبكي، هو أبن خطيب الاشموني، ادعى، في مصنفه.

بأن أبن عبد السلام كان قد استلم خرقة التصوف، أي المرقعة، من شيخ صوفية العصر شهاب الدين السهروردي (ت ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، الذي كان يجتذب لحلقاته كثير من الاولاد الشاميين اثناء مكوثه في الشام[٥٣].

غير أن أبن عبد السلام لم يكن اماما معاديا للمتصوفة واحد خصومهم بل على العكس من ذل، فاحتفظ بعلاقات طيبة مع شخصيات صوفية مهمة، كالشيخ أبي الحسن الشاذلي ٠ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م) صديقه الشخصي، وعلاقته أثناء اقامته بالقاهرة، تدلل على وجود صلة قائمه بينهما[٥٤]، وأنه كان في حياته اليومية زاهدا ورعا، ففقيها صالحا بعيدا عن اهتمامات الدنيا. كما توجد بين اثاره رسائل تدور حول مسائل التصوف واحدة بأسم ((مسائل الطريقة))، وثانية بعنوان ((رسالة في القطب والابدال والاربعين)) ومصنف يسمى ((شجرة المعارف)). و ((حل الرموز ومفاتيح الكنوز)) و ((نهاية الرغبة في أدب الصحبة))[٥٥].

ولا يوجد في كل هذا ما يثير الشك حول نوع علاقة أبن عبد السلام مع أهل التصوف، خاصة وأنه كشيخ الاسلام، وكمتولي لاوقاف كبيرة، يوفر وسائل مشجعة لهذا الاحتكاك، أما الذي يذكره قطب الدين اليونيني[٥٦]، ويروجه شمس الدين الذهبي[٥٧] من أن أبن عبد السلام كان يحضر مجالس السماع، ويمارس الزحف والرقص خلال انعقادها على عادة الصوفية في أورادهم وتواجدهم، فهو شيء لا يعقل أن يقوم به شخص يحتل منزلة شيخ الاسلام كابن عبد السلام، ولا أهمية أيضا من التفريق بين حضور مجالس السماع وحدها وممارسة العادات والطقوس الصوفية المحرمة خلالها[٥٨]، فيما عمد مؤرخون متأخرون كاليافعي إلى تأييد تلك الآراء عن نسبة أبن عبد السلام للتصوف لأنهم مؤرخون متصوفة يستحسنون من أن يكون اسمه مقترنا بالتصوف وممارسة عاداتهم التي يكرها أهل الشرع في

حلقات السماع[٥٩]. والشئ ذاته يقال بالنسبة لكرامات والخوارق التي تنسب إليه في أثناء مواجهة الازمات المفجعة بأرادة من الله[٦٠].

أما الصورة المثلى للتصوف التي كانت تجتذب أبن عبد السلام فهي دون شك تلك الشخصيات التي تجمع بين التصوف والكلام كابي عبد الرحمن وأبو علي الدقاق، وأبو القاسم القشيري وغيرهم من رجال المدرسة الاشعرية-الصوفية لخراسان، التي يجتذب إليها.

إلا أن الحقيقية تبقى أن أبن عبد السلام كان فقيها ليس إلا، ومحولات نسبة سلوك التصوف إليه لا تبدو حقيقية، مع أن من المرجح أن يكون قد شاهد بعضا من مجالس أهل الصفة بموجب علاقاته الواسعة مع مختلف فئات الشريعة والحقيقة. كما أن ثقافته ومعرفته للتصوف والتأليف فيه لا تبدو غريبة بالنسبة لعالم وشيخ الاسلام على مستوى العز بن السلام.

هذه خلاصة حياة أبن عبد السلام بين وقت عيشه في الكلاسة من الجامع الاموي وتاريخ دفنه في تربته بالقرافة في ضوء المعلومات المتوفرة لدينا بصورة غير مباشرة من مترجمي سيرته كل من ولده الشيخ عبد اللطيف، ولحد أقل مصنف اليكاري أبن خطيب الاشمونين، على نحو ما حفظها لنا السبكي في ترجمته، ارتقى خلالها من صبي فقير الحال لا يلوذ على شيء إلى شيخ يشار إليه بالبنان بين ملوك البيت الايوبي ومعاصيرهم من المماليك. وخلاصة ما يلاحظ عن سيرته أن أسمه منذ عهد السلطان الكامل محمد يشكل ظاهره دينية- سياسية هامة في المجتمع السياسي الايوبي والمملوكي لم تتوقف إلا بوفاته. أما قبل ذلك، فكانت عنصرا مهما بقدر ما يتعلق بتكوين شخصيته وتحصيله العلمي في علوم المذهب والأهم أنها كانت ترتكز على ما كان يشغله من وظائف وواجبات دينية عامة، وما كان يتوفر تحت تصرفه من وسائل شرعية وقضائية وتعليمية تؤهلها عناصر هذه الولايات. إلا أن من الواضح أن سيرة أبن عبد السلام هذه، في ضوء معلوماتنا الحالية عنه، وعن عمله في المؤسسات الايوبية والمملوكية تبدو ناقصة من عدة جوانب: مثلا، أننا لا نعرف شيئا ما عن تطلعاته المبكرة التي استوجبت ايقافها بخصوص دخوله طريق التصوف، ثم ظهور مثل هذا الميل عنده في الكبر، وما جلبته له من انتقادات لاذعة من أهل الظاهر لحضوره جلسات كمجالس السماع والذكر وممارسة الرقص وغيرها من التصرفات التي تبدو شائبة- غير مقبولة من قبل شيوخ المحدثين، ولا حتى بمستوى منزلته أيضا، كذلك وضعه كشيخ الاسلام لعلماء الشام، وفيما بعد مصر، وحتى في مستوى شيخ الدنيا بالتعبير الذي يورده اليونيني، فلا نعرف عنه شيئا بصفته الرسمية،مع انه يمكن القول ان ذلك كان قد تم بعد حصول أبن عبد السلام على رئاسة الشافعية في ٦٢٠هـ، وأيضا في جهلنا للخليفة السوسيولوجية التي تقف وراء تسميته بسلطان العلماء في دلالات مع أن هذا اللقب لا يبدو أنه يحوي على دلالات سياسية بقدر ما يعكس حالة فخرية لشيخ الشافعية، وهو لقب يشاركه فيه، طبيعيا آخرون من العلماء ولا ينفرد به على ما يفعل السبكي. وجاءت احتراما من بين قائمة طلابه في القاهرة. وتظهر سيرته أن مشكلته في الشام كانت اساسا مع ملوك السلطنة الايوبية في دمشق، كل من الملك

الاشرف موسى، والصالح اسماعيل، وتتبع من تعصبه لمذهبه ، الاشعرية، كما يبدو من خلال اتهامات قوة الحنابلة له. بينما يدين في وجوده بمصر إلى تبني السلطات الملك الصالح نجم الدين .

ايوب لقضيته ، بالرغم من ان الهجرة من الشام الى مصر وبالعكس كانت مسألة طبيعية بين مجمع العلماء والفقهاء هناك ، وبالرغم من ان موضوع ارائه في الاشعري والاشعرية لم تعد مشكلة قائمة هناك . الا ان ابن عبد السلام لم يسمح لنفسه خلال اقامته بمصر في كنف السلطنة الايوبية والمملوكية كذلك ان يكون ذيلا تابعا لسلطاتها السياسية لان تعاون ابن عبد السلام مع ممثليهم من السلطان فما دون كان مستمرا طالما كانت المسائل التي يدور بحثها معه تتفق مع تفسيره الخاص للمسألة وتتلائم مع مفاهيمه الشرعية للسياسة الايوبية ، وفي خلاف ذلك ، كحال ما حدث مع ادارة السلطان نجم الدين ايوب في حادثة الطبلخانة ، فلا يتردد ابن عبد السلام ، من جانبه ، في ايقاف أي تعاون يقتضيه مع تلك الأدارة ، على مستوى الوظائف والواجبات التي يتولى مهاميا كاملا ، اما بالشروع في تقديم استقالته فورا . دون انتظار لردود فعل خصومه عليها ، على نحو ما حدث في حالة انسحابه من واجبات القضاء لمصر والوجه القبلي ، او في التهديد بالخروج من البلد اساسا ، كما في الخلاف الذي نشب بينه وبين ادارة السلطان بيبرس حول ضرورة بيع المملوك في السلطة من اجل اخراج ما يستوجب عليه من حق لبيت مال المسلمين . ايا كان شخصه ، حتى وان كان ذلك المملوك بيبرس شخصيا .

ان اهم ما يميز فترة حياة ابن عبد السلام في مصر عن فترة عمله في الشام هو انه لم ير لشخصه في الأولى أي تحد من مجتمع العلماء في مصر ، او منافسه حقيقية من عناصرهم على مختلف مذاهبهم . فما آلت اليه حالته من الاستقرار والبروز بمصر تظهر ان ابن عبد السلام قد نجح بالاحرى في فرض شخصيته عليهم فرضا شاؤا ام ابوا ، بعد التراجع الذي ابداه من مسألة الاشعرية ، على نحو الاستقبال والضيافة الشخصية التي اظهرها له هناك شيخ المحدثين الحافظ زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م) التي تخرج في استمراريتها حدود الضيافة المألوفة للشيخ من الحصول على مشيخة الاسلام من

خلال رياسة المذهب والعلم سوية ، ومن خلال رياسة الافتاء ، التي اعترف له بها المنذري على كبر .

اما في الشام ، فان التحدي له من علماء اهل الظاهر ، منافسيه على رئاسة المجتمع الديني – الدمشقي فكانت ظاهرة ، وغالبا ما عبرت عن نفسها بمواقف مناهضه من ممثلي حكومات السلطنة بدمشق ، ممن ساندوا اراء منافسيه شخصيا ، بالاضافة الى الخلافات المفتوحة مع هؤلاء الملوك الايوبيين حول مسائل السياسة الايوبية ، لكن بعضها كانت تمثل اقرانة الشافعية ، غير فئة المتكلمين ومن رواد اهل الحديث كابن الصلاح ، الذى احتفظ برياسة الافتاء في الشام عن جدارة.

ولكن في كلا الحالتين ، ظن ابن عبد السلام يشكل مشكلة كبيرة لمن على راس الحكم ، او ادارتة لا بد من احتوائها وكسب رضاها : فخارج حدود الدائرة المباشرة لاعدائة ، كانت السلطات السياسية الايوبية والمملوكية تعتبر ابن عبد السلام حقيقة ، عالما ، ورعا ، مخلصا في خدمتة للدين الحنيف ، وتدرك دوره ومساهماتة في محتوى المنزلة والنفوذ الذي كان يتمتع به بين علماء الامة واتباعهم من العامة ، وفي محتوى تجربته الخاصة معة في مسائل الجهاد ومقاومة اعداء الاسلام من صليبين ومغول فيما بعد . لكن هذه السلطات ، في الوقت ذاته ، امنت ايضا بخطورة هذا الشيخ لانه كان يدخل انفه في اعمال الملوك والسلاطين ويتدخل في امور يعود امرها ومسؤولياتها اليهم وحدهم ، ولاتنتمي ، من وجهة هذا الراى ، الى دائرة واجباتة الدينية . بموجب هذه النظرة ، كان ابن عبد السلام يعتبر مصدر مشاكل ، وعدم استقرار لاولو الامر لا يجوز السكوت او التغاضي عن تجاوزاتة على مصالحهم ، فيما كان نفسه لا يتردد عن استخدام امتيازاته ومسئولياته ضمن ولاياته الدينيه من التشهير بهذه المواقف ونكرانها ، الى مستوى التنديد بهم صراحة ، والامتناع عن رفع الدعوات ، على نحو ما يتقرر للسلطان في إمامة الصلاة والخطابة بالمسلمين : فلم يكن له اسهل من ان يشهر مثلا ، بتعاون ملوك الشام الايوبيين مع امراء الفرنج ، او الطعن بنسب السلطان المملوكي ، على ما تقتضيه شروط عقد ولاية السلطنة من خلال تقصير السلطان او الملك في امر الجهاد وفي المدافعة عن بيضة الاسلام .

ان اهم ما يميز ابن عبد السلام في سيرته ، ومنزلته كشيخ الاسلام ، هو انه كان رجلا دينيا مقتدرا يستحق رئاسة علماء العصر بجدارة ، وفي صفته اللامتناهية بعدم محاباة السلطان الحاكم او الجري وراء امتيازاته وصلاته الشخصية ، مهما كانت نوعية الوسائل التي تستعمل معه لتغيير مواقفه منهم ، لانها لم تكن في نظره مصالح متبادلة تباع علية من الحاكم الى المحكوم ، حتى وان كان ذلك يعرض حياته المادية للخطر . وبدون شك ، ان هذه العوامل مختلفة ساهمت في جعل خطبه وفتاويه ودعواته مصدر حرج وموضع اتهام لتلك السلطات .

لقد كان ابن عبد السلام شخصية غير اعتيادية بين علماء الشام ومصر الذين عاصروه ، لما جمع في شخصيته كامام وشيخ الاسلام ، رياسة المذهب ، ورياسة العلم ، وفي اتخاذ مواقف دينية – سياسية صلبة لم تعرف انها اتخذت من قبل علماء العصر .

هوامش المقالة:-

(١)(دمشق : مطابع دار الفكر ، ١٣٧٦/١٩٦٠) ، التي كتبها كجزء من متطلبات درجه) اليسانس.

(٢)العز بن عبد السلام ، ص ١٣ ، ص ١٧٥.

(٣)طبقات الشافعية الكبرى (بيروت : دار المعرفة ، د . ت) م٥ ، ص ٨٠.

(٤)يقول الدكتور يوسف السباعي في تصديره لكتاب النووي ان عظمه ابن عبد السلام تكمن في ((جراته في قول الحق ، وشدته على المبطلين على كبر سنه ، وغوصه العظيم على اسرار الشريعة ، واحاطته بمقاصدها في رعاية مصالح العباد)) وفي راى الصباعي ان ((أي واحدة من هذه النقاط كافية

لتخليده في رحاب العلماء الخالدين من رجال الدين والدين)) انظر العز بن عبد السلام ، ص٦-٨ .

(٥)يرد في السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٥-١٠٢ مع المداخلات.

(٦)السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ص٨٣ .

(٧)ابن رافع السلامي ، تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار ، تحـ : عباس العزاوي (بغداد : مطبعة الاهالي ، ١٣٥٧هـ / ١٩٨٣م) ص١٠٦ ، وفيما يخص الاقتباسات لنصوص مصنف ابن عساكر (المقاومات) انظر شمس الدين الذهبي ، سير اعلام النبلاء (بيروت : دار الفكر ، ١٤١٧هـ / ١٩٦٧م) ، م١٧ ، ص٣٣ .

(٨)ابن رافع السلامي ، منتخب المختار ، ص١٠٤-١٠٥ ، : ((تم كلام ابن مسدى (مسرى) فيه ... ، وذكر كلاما)) .

(٩)المصدر ذاته ، ص١٠٦ ، وفيما يتعلق باراء مؤرخي الحنابلة انظر اسفل ، ص .

(١٠) واضاف اليه دونالد لتل مقالته الانكليزية ((الدين في حكم المماليك)) ، نشر ضمن كتابه دراسات في تاريخ هستريوغرافيا المماليك

(London : variouam , ١٩٨٦) ، ص١٦٥-١٨١ ، وبالنسبة للدولة انظر كتابه تحت حكم الحرية(Revus des)

(١١) كما ورد في السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٠ ، ابن رافع السلامي المنتخب المختار ، ص١٠٦ ، وله تراجم مألوفة في كتب الوفيات والحوادث والفهرسة منها ابو شامة المقدسي ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين (بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٧) ص٢١٦ ، قطب الدين اليونيني ذيل مرآة الزمان (حيدر أباد : دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤ م) ، م٢ ، ص ١٧٢-١٧٦ ، شمس الدين الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، م٧ ،ص ص٣٢-٣٤ ، كذلك مصنفة العبر في خبر من عبر (الكويت : مطبعة الحكومة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) م ٥ ،ص ص١٧٥ ، ابن كثير البداية والنهاية في التاريخ (بيروت /دار ابي كثير ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٧م)ج١٣، ص ص ٢٣٥-٢٣٦، ابن تغري بردى) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة : مطابع كوستاتوماس ، د.ت) ، ج٧ ، ص٢٠٨ ، اليافعي ،مرآة الجنان وعبرة اليقضان (بيروت : مؤسسة الاعلمي ، د.ت) م٤ ، ص ١٥٣- ١٥٨ ، ابن العماد ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ط٢ (بيروت : دار المسيرة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧١م) م٥، ص٣٠١ -٣٠٢ ، الخقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك

(القاهرة : مطبعة دار الكتب ، ١٩٣٦) ، ج١ ، ق٢ ، (اشارات مختلفة ص ٣٠٤ وما بعدها) ص٤٧٦ ، ابن اياس ، تاريخ مصـــر ، ط١ (القـاهرة : بولاق ، ١٣١١هـ) ص ١١٢ .

(١٢) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ص٨٣، ابن تغـــرى بـــردى ، النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص٢٠٨ .

(١٣) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٣ .

(١٤) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٧ ، ص٢٠٨ ، ابن كثير ، البدايـة والنهاية ج١٣ ، ص٢٣٥ ، ابن العماد ، شذرات الذهـــب ، م٥ ، ص٣٠١ ، وانظر الذهبي سير اعلام النبلاء ، م١٧ ، ص٣٤ .

(١٥) طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٠ ، ص ٩٦ ، ص١٠٢ .

(١٦) المصدر ذاته ، م٥ ، ص٨٠ ، ص٨٣ .

(١٧) كذلك ، م٥ ، ص٨٢- ٨٤ .

(١٨)

(١٩) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٢ .

(٢٠) مثلما وردت في الترجمة التي خصصها له ابـــن رافـــع الســـلامي فـــي المنتخب المختار ص١٠٦ ، ابن العماد ، شذرات الذهـــب ، م٥ ، ص٣٠٢ ، وانظر ايضا رضوان علي الندوي ، العز بن عبد السلام ، ص٣٨ . اما فـــي

اليافعي ، مرآة الجنان ، م٤ ، ص١٥٧ ، فيذكر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وهو على ما يضن تصحيف من المحقق .

(٢١) ابن رافع السلامي ، المنتخب المختار ، ص١٠٤ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، م١٧ ، ص٣٣ ، ابن العماد ، شذرات الذهب م٥ ، ص٣٠٢ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٠ وغيرها .

(٢٢) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحد : نجاتي (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٥٦) م١ ، ص٩٣ ، (من ترجمة غير محبذة) .

(٢٣) طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص١٣١ .

(٢٤) قطب الدين اليونيني ، ذيل كرآة الزمان ، م١ ، ص٥٠٦ .

(٢٥) وهو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الامام المفتي فخر الدين ابو منصور الدمشقي الشتمي المعروف بابن عساكر (٥٥٠ -٥٥٥-٦٢٠هـ) شيخ الشافعية في الشام ، الذي وقفت له جملة من المشاكل خلال عهد الملك المعظم عيسى بحكم دمشق . وكان على خلاف ابن عبد السلام قليل التعصب ، ولايميل الى قبول مناصب الولايات الدينية . من سيرته انظر ابو شامة المقدسي ، الذيل على الروضتين ١٣٦-١٣٩ ، السبكي ، طبقات السافعية الكبرى ، م٥ ، ص ص٦٦- ٧١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠١ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٩٢ -٩٣ .

(٢٦) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٠ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٢٠٣ .

(٢٧) الذيل على الروضتين ، ص١٥١ .

(٢٨) ابو شامة ، الذين على الروضتين ، ص٢٧٠ ، اليونيني ، ذيل كمرآة الزمان ، م٢، ص١٧٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣، ص١٧٣ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٠ .

(٢٩) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، م٢ ، ص١٧٣ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥، ص٨١ .

(٣٠) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، م٢ ، ص١٧٣ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥، ص٨١ .

(٣١) ابن رافع السلامي ، المنتخب المختار ، ص١٠٥ ز ، مع انه ظل في المثل الساخر ان يقال للشخص الفقير المعدوم : ((انت من العوام ولو كنت ابن عبد السلام)) انظر ابن شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ، تحـ : محمد فخر الدين ( ) م١، ص٥٩٥ .

(٣٢) طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٤ .

(٣٣) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، ص٥٠٦ .

(٣٤) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص١٠٢ ، ص١٠٦ ، قارن بالندوي العز بن عبد السلام ، ص ص ٥٠-٥٢ (في تفاصيل لا اهمية لها).

(٣٥) وما ذكره المقريزي ، السلوك ، م١ ، ق٢ ، ص ٤٧٦ : عن اثنين وستين سنة خطا واضح ، كذلك غربال الزمان ، وهو مخطوط ذكره خير الدين الزركلي في الاعلام ط٣ ، (بيروت ، ١٩٦٩) م٤ ، ص١٤٥ ، وفيه وفاته سنة ١٥٩ هـ .

(٣٦) اليونيني ، ذيل مرآة الزمان ، م١ ، ص ٥٠٩ وما يتبعها .

(٣٧) العبر ، م٢ ، ص٢٧٧ ، السيوطي ، حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، ابو الفضل ابراهيم (القاهرة : عيسى البابي ، ١٩٦٧) م٢ ، ص٩٥ ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٥ ، ص٣٠٢ ، وانظر ايضا سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر واولياؤها (القاهرة : مطابع الاهرام التجارية ، ١٩٧٦) م٢ ، ص٢٧٧ .

(٣٨) الذيل على الروضتين ، ص١٧٠ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٠ ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء (القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٧٧/١٩٥٢) ، ص٤٦٣ ، واشارات اخرى كثير .

(٣٩) ابن رافع السلامي ، المنتخب المختار ص١٠٥ ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨١ .

(٤٠) المختصر في اخبار البشر (صيدا : دار البحـار ، د. ت) ج٦ ، ص٧١ ، وانظر ايضا ابن الوردي ، تاريخ ابـن الـوردي ، (النجـف : المطبعـة الحيدرية ، ١٩٦٥) ج٢ ، ص٢٤٥ ، ص٢٤٦ .

(٤١) ابن واصل ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، ( ) م٥ ، ص٣٠٣ .

(٤٢) الذيل على الروضتين ، ص١٧٠ ، وانظـر ايضـا السـبكي ، طبقـات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٠ ، من دقق السيف على المنبر وغيرها) .

(٤٣) الذيل على الروضتين ، ص١٧٠ ، وانظـر ايضـا السـبكي ، طبقـات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص١٠٠ ، ((اللهم ابرم لهذه الامة امرا راشدا ،تعـز فيه وليك ، وتذل فيه عدوك ، ويعمل فيـه بطـاعتك ، وينـهى فيـه عـن معصيتك)).

(٤٤) ابن رافع السلامي ، المنتخب المختار ، ص١٣٢ : ((انتهى اليـه دفـي دمشق رياسة الفتوى في مذهبه)) .

(٤٥) طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٠ .

(٤٦) المنتخب المختار ، ص١٠٤ .

(٤٧) شيخ الاسلام تقي الدين ابو الفتح محمد بن علي بـن وهـب القشـيري المنفلوطي المصري (شعبان ٦٢٥ – صفر ٧٠٢ هـ) ، احد كبـار ائمـة

الشافعية في مصر ، لان والده مالكي المذهب ثم اصبح شافعيا بعد ان درس الفقه على عز الدين بن عبد السلام ، وله الشهرة في الحديث ، وصاحب تصانيف مشهورة ، اثنى عليه ابن عبد السلام نفسه ، عن سيرته انظر السبكي طبقات الشافعية الكبرى ، م٦ ، ص ص ٢-٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤ ، ص٢٧ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ، م٦ ، ص ص ٥-٦ .

(٤٨) يعلل ذلك محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي ((القاهرة : المطبعة النموذجية ، د . ت)) م٣ ، ص١٧٦ ، على اساس من : ((علمه الغريزي ، واطلاعه الواسع ، وايمانه القوي ، ومحبته البالغة وزهده وحبه للحق)) .

(٤٩) السبكي طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٣ ((قال الشيخ الاسلام ابن دقيق العيد كان ابن عبد السلام احد سلاطين العلماء)) لكنه هو الذي يقول عن مواهب قاضي القضاة ابن بنت الاعز ((ت٦٦٥هـ /)) : ((انه لو تفرغ للعلم لفاق ابن عبد السلام ، انظر نفسه ، وانظر ايضا ابن العماد ، شذرات ، م٥ ، ص٣٢٠ ز

(٥٠) ابن رافع السلامي ، المنتخب المختار ، ص١٠٦ .

(٥١) ذيل مرآة الزمان ، م٢ ، ص١٧٢ .

(٥٢) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص٨٢ ، وهذا الموضوع يحتاج الى تمعن ووقفه خاصة مستقبلا .

(٥٣) المصدر ذاته ، م٥ ، ص٨٣ .

(٥٤) اليافعي ، مرآة الجنان ، م٤ ، ص١٥٣ ، وانظر النداوي ، العز بن عبد السلام ، ص١٥ .

(٥٥) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، م٥ ، ص١٠٣ ، وانظر ايضا الندوي ، العز بن عبد السلام ، ص ص ٨١-٨٣ .

(٥٦) ذيل مرآة الزمان ، م٢ ، ص ١٧٥ .

(٥٧) سير اعلام النبلاء ، م١٧ ، ص٣٣ ، وانظر كذلك الذهبي ، العبر ، م٣ ، ص٢٩٩ طبعة الحلو ، ايضا الندوي ، العز بن عبد السلام ، ص ١٠٩ .

(٥٨) انظر رضوان الندوي ، العز بن عبد السلام ، ص١٠٩ .

(٥٩) مرآة الجنان ، ص١٥٤ .

(٦٠) الندوي ، العز بن عبد السلام ، ص ص ١١٠-١١٣ ، حيث يورد ثلاث حالات من هذه الكرامات .

المصادر والمراجع

ابن تغرى – بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة القاهرة : مطابع كوستا توماس ، د . ت ، ج٧ .

، المنهل الصافي والمستوفي قبل الوافي ،

القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٥٦ ، ج١ .

ابن رافع السلامي ، تاريخ علماء بغداد المسمى منتخب المختار ، تحـ : عبـاس العزاوي

بغداد : مطبعة الاهالي ، ١٣٥٧ / ١٩٧٨ .

ابن شاكر الكتابي : محمد ، فوات الوفيات ، تحـ : محمد محي الدين عبد الحميد

القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٥١ .

ابن العماد ، عبد الحي ، شذرات الذهب في تاريخ من ذهب

بيروت : دار الميسرة ، ١٣٩٩ / ١٩٧٦ . م٥ .

ابن كثير ، اسماعيل ، البداية والنهاية في التاريخ

بيروت : دار ابن كثير ، ١٣٨٨ / ١٩٦٧ ، ج١٣ .

ابن واصل ، جمال الدين ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحـ : حسـنين محمد ربيع

القاهرة : مطبعة دار الكتب ، م٥ .

ابن الوردي ، زين الدين ، تاريخ ابن الوردي .

النجف : المطبعة الحيدرية ، ١٩٦٩ .

ابو شامة ، شهاب الدين ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع

المعروف بذيل الروضتين ، تصحيح الكوثرى

ط٢ ، بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٤ .

ابو الفداء ، المختصر في اخبار البشر

صيدا ، دار البحار ، د. ت .

الذهبي ، شمس الدين : سير اعلام النبلاء

ط١ : بيروت : دار الفكر ، ١٤١٧ / ١٩٩٧ .

_____ ، العبر في خبر من غبر ، تحـ : صلاح الدين المنجد .

الكويت ، مطبعة الكويت ، ١٩٦٠ ، ١٩٦٦ .

الزركلي ، خير الدين ، قاموس الاعلام .

ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٩ . م٤ .

السبكي ز تاج الدين – طبقات الشافعية الكبرى

بيروت : دار المعرفة ، ذ .ت ، م٥ .

سليم ، محمود رزق ، عصر سلاطين المماليك .

القاهرة : المطبعة النموذجية ، د. ت .

السيوطي ، جلال الدين . حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة تحـ : محمد ابو الفضل

ابراهيم ،القاهرة : دار احياء الكتب ، ١٩٦٧ .

، تاريخ الخلفاء ، تحـ : محمد عبد الحميد .

ط١ ، القاهرة : مطبعة السعادة .

محمد ،سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها

القاهرة : مطبعة لاهرام التجارية ، ١٩٧٦ .

المقريزي ، تقي الدين ، السلوك لمعرفة دور الملوك .

القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٦ .

الندوي ، رضوان علي ، العز بن عبد السلام .

دمشق : مطابع دار الفكر ، ١٣٧٩ / ١٩٦٠ .

اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقضان .

بيروت : مؤسسة الاعلمي ، د. ت .

اليونيني ، قطب الدين ، ذيل مرآة الزمان

ط١ ، حيدر اباد : دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٤ / ١٩٥٤ .